وسائل تحقيق الأمن الغذائي في الفكر الاقتصادي الإسلامي

إعداد: الدكتور: محمد دباغ
أستاذ جامعة أدرار

تمهيد

ربط الإسلام الأمن الغذائي بالاستقرار النفسي والاجتماعي حيث قال تعالى (فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف)(1)

ومن هنا يمكننا استخلاص المعادلة الآتية:

حياة سعيدة = أمن غذائي + اطمئنان نفسي ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم ((من بات آمنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فقد حيزت له الدنيا بحذافيرها)) (2)

فبهذه التوجيهات نجد الإسلام قد سبق إلى إرساء دعائم الحياة الكريمة التي منها تحقيق الاكتفاء الذاتي والأمن الغذائي.

وسنحاول في هذا البحث بيان استراتيجية الفكر الاقتصادي الإسلامي في تحقيق الأمن الغذائي لمختلف الوسائل المادية والمعنوية حسب الخطة الآتية:

تمهيد

المبحث الأول: مفهوم الأمن الغذائي وأهميته

المطلب الأول: مفهوم الأمن الغذائي

المطلب الثاني: أهمية الأمن الغذائي في الإسلام.

المبحث الثاني: العوامل المؤثرة في الأمن الغذائي إيجابا وسلبا.

المطلب الأول: العوامل الإيجابية

المطلب الثاني: العوامل السلبية

المبحث الثالث: الأمن الغذائي ومستقبل الأمة العربية والإسلامية

المطلب الأول: على المستوى الاقتصادي

المطلب الثاني: على المستوى الاجتماعي

المطلب الثالث: على المستوى السياسي

الخاتمة.

المبحث الأول:مفهوم الأمن الغذائي وأهميته

المطلب الأول: مفهوم الأمن الغذائي

الفرع الأول: التعريف اللغوي.

الأمن من باب أمن وسلم وهو ضد الخوف(3) ومنه قوله تعالى (أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف) (4)

الغذاء: كل ما يتغذى عليه الإنسان من الطعام والشراب (5)

الفرع الثاني: التعريف الإصلاحي.

قبل ذكر التعريف بحدوده المضبوطة نشير إلى المفهوم العام للأمن الغذائي حيث نجد أنه يعني توفير احتياجات جميع سكان الدولة من السلع والمواد الغذائية بالقدر المطلوب والأنواع المختلفة من الطعام والشراب.

وبناء على ذلك يعرف الأمن الغذائي بأنه ((اصطلاح ذو مدلول سياسي، يقصد به توفير الدولة لمواطنيها حاجتهم من المواد الغذائية الضرورية ومدى ارتباط وتأثير هذه الحاجات على علاقاتها الدولية))(6).

ويترجم هذا المدلول اقتصاديا بأنه ((ضمان استمرار تدفق المستوى المعتاد من الغذاء اللازم لاستهلاك المجتمع خلال أي فترة من الزمن))(7).

أو هو ((ضمان استمرار تدفق كمية المواد الغذائية التي تؤمن لكل فرد من أفراد المجتمع مستوى السعرات الحرارية المطلوبة للحياة الصحية وفقا للمعايير العلمية المتفق عليها دوليا وذلك خلال أي فترة من الزمن))(8).

وعرفه الباحثون في الاقتصاد الإسلامي كما يلي: ((الأمن الغذائي هو ضمان تدفق المستوى المعتاد من الغذاء الحلال اللازم لاستهلاك المجتمع في أي فترة من الزمن))(9).

وهكذا نلاحظ التعريف الشرعي أضفى على التعريف الاصطلاحي التقليدي صبغة قيمية تربط الإنسان بالجانب الروحي التعبدي مصداقا لقوله تعالى(فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف)(10)

الفرع الثالث: تقسيمات الأمن الغذائي

يمكن التمييز بين مستويين للأمن الغذائي مطلق ونسبي، فالأمن الغذائي المطلق يعني إنتاج الغذاء داخل الدولة الواحدة بما يعادل أو يفوق الطلب المحلي وهذا المستوى مرادف للاكتفاء الذاتي الكامل(11).

أما الأمن الغذائي النسبي فيعني قدرة دولة ما، أو مجموعة من الدول، على توفير السلع والمواد الغذائية كليا أو جزئيا، وضمان الحد الأدنى من الاحتياجات الاجتماعية بانتظام (12)

وبذلك يكون مفهوم الأمن الغذائي النسبي لا يعني بالضرورة إنتاج كل الاحتياجات الغذائية الأساسية بل يقصد به أساساً توفير المواد اللازمة لتوفير هذه الاحتياجات من خلال منتجات أخرى يتمتع فيها القطر المعني بميزة نسبية عن الأقطار الأخرى(13)

وهذا يظهر أن مفهوم الأمن الغذائي مؤسس على ثلاثة مرتكزات:

وفرة السلع الغذائية.

وجود السلع الغذائية في السوق بشكل دائم.

أن تكون الأسعار في متناول المستهلك(14)

المطلب الثاني: أهمية الأمن الغذائي في الإسلام.

الفرع الأول: الأمن الغذائي في النصوص الشرعية

جاءت نصوص القرآن والسنة مبينة لأهمية تحقيق الأمن الغذائي وجعليه عنوانا للحياة السعيدة، فالله سبحانه وتعالى عندما أدخل سيدنا آدم الجنة خاطه بقوله: (إن لك آلا تجوع فيها ولا تعرى وإنك لا تظمأ فيها ولا تضحى) (15) فهذه إشارة قوية إلى تحقيق الأمن الغذائي من عناصر الحياة السعيدة.

ويدل على ذلك أيضا قوله صلى الله عليه وسلم ((من بات آمنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فقد حيزت له الدنيا بحذافيرها)) (16) فقد أشار صلى الله عليه وسلم إلى أن من ملك الأمن والجوع والخوف فقد ملك الدنيا كلها.

الفرع الثاني: تطبيقات الأمن الغذائي في فعل السلف

تجلت تطبيقات الحرص على تحقيق الأمن الغذائي مع قيام الدولة الإسلامية حيث إن النبي صلى الله عليه وسلم بمجرد دخوله المدينة أقر الإجراءات الآتية:

إنشاء سوق خاصة بالمسلمين حيث كان اليهود يسيطرون على التجارة مما يشكل تهديدا مباشراً على الأمن الغذائي للمسلمين(17)

إصدار نصوص تشريعية تتعلق بالترخيص في بعض العقود والمعاملات كالسلم والمساقاة والمزارعة....(18)

إعطاء تحفيزات مشجعة على الاستثمار وذلك بالترغيب في إحياء الموات حيث قال صلى الله عليه وسلم ((من أحيا أرضا مواتا فهي له)) (19)

وبالعودة إلى شرع من قبلنا نجد أن سيدنا يوسف عليه السلام قد أسس لنظرية الأمن الغذائي حيث أشار إلى أهمية الإنتاج الزراعي وكيفية حفظ القمح في سنبله ترقبا لسنوات الجدب، فحث أهل مصر في عصره على ترشيد الاستهلاك وعدم الإسراف بما يمنع من حدوث المجاعة. (20)

جاء ذلك في قوله تعالى (قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون، ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون) (21)

المبحث الثاني: العوامل المؤثرة في الأمن الغذائي

المطلب الأول: العوامل الإيجابية

تتمثل العوامل الإيجابية اختصارا فيما يلي:

إتقان العمل والإخلاص فيه فهو يؤدي إلى وفرة الإنتاج عموماً والمنتجات الغذائية خصوصاً.

حسن التخطيط وترشيد الاستهلاك.

اهتمام الدولة بوسائل تحقيق الأمن الغذائي وذلك بـ

تشجيع الزراعة والري وتربية المواشي.

مساعدة المنكوبين جراء الكوارث الطبيعية.

حماية المستهلك ومراقبة الأسعار ومنع الاحتكار(22)

ومما تجد الإشارة إليه تجربة الدعم الفلاحي التي قامت بها الدولة الجزائرية حيث دعمت الاستثمار في مجالات مختلفة، إلا أن كثيرا من هذه الحالات لم تنجح أو تراجع مردودها نظراً لعوامل قد تعود للظروف الطبيعية أو العامل البشري.

الفرع الثاني: العوامل السلبية

وتتمثل هذه العوامل اختصارا فيما يلي:

الظروف المناخية السيئة التي تؤثر غالبا على الإنتاج الزراعي.

الحروب والاضطرابات الداخلية في بعض دول العالم الإسلامي.

تزايد ظاهرة التصحر نتيجة للجفاف وتقلبات الطقس.

تخلف طرق الإنتاج الزراعي في بعض البلدان الإسلامية.

اهتمام كثير من الدول بالتصنيع على حساب الزراعة.

نزوح سكان الأرياف الزراعية نحو المدن. (23)

الفرع الثالث: نظرة الفكر الاقتصادي الإسلامي لمشكلة الأمن الغذائي

يقر الفكر الإسلامي ما تقدم من العوامل التقنية المؤثرة في مشكلة الأمن الغذائي إيجابا وسلبا، لكنه يضيف إليها عوامل روحية أخلاقية منها

ضرورة الإيمان والتقوى لتحقيق الرزق الحلال قال تعالى (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) (24)

شكر النعمة موجب لزيادتها، قال تعالى (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم) (25)

تشجيع الأفراد على الإنفاق والتصدق الواجب والمندوب قال تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم)(26)

حث الدولة على جباية الزكاة وتوزيعها حيث قال تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) (27)

المبحث الثالث: الأمن الغذائي ومستقبل الأمة العربية الإسلامية

يعد الأمن الغذائي والاكتفاء الذاتي شرطا لازما لحفظ كرامة الأمة وصيانة وحدتها وحماية ديارها ولدرء تحكم الاعداد في مقدرتها وتدخلهم في قرارتها وسياستها، ولذلك كان الأمن الغذائي انعكاسا على مختلف المجالات وبيان ذلك فيما يلي:

المطلب الأول: على المستوى الاقتصادي

الفرع الأول: المظاهر والآثار

إن مشكلة انعدام الأمن الغذائي تؤدي إلى تفاقم أزمات اقتصادية حادة تتجلى في عدة مظاهر منها:

التبعية الاقتصادية للدول المصدرة للمواد الاستهلاكية، بحيث يتأثر اقتصاد الدول المستوردة تلقائيا باقتصاد الدول المصدرة (28)

تفاقم ظاهرة الاحتكام والمضاربة وغلاء الأسعار وهو ما يترجم اقتصاديا في مشكلة الندرة.

تفشي البطالة والفقر والعوز وهي ظاهرة تجعل الدولة تعرف تخلفا اقتصاديا.

الفرع الثاني: اقتراحات وحلول من وجهة الفكر الاقتصادي الإسلامي.

إن الفكر الإسلامي يتسم بالشمولية في معالجة المشكلات المختلفة وبالتالي فهو ينظر إلى أن حلول المشكلات الاقتصادية بما فيها مشكلة الأمن الغذائي تقتضي تنمية اقتصادية شاملة وفق مجموعة من العوامل والمحددات الموضوعية التي منها:

تشجيع الأفراد على النشاط الإنتاجي بمختلف أنواعه. (29)

الأخذ بالأسباب العلمية والمعرفية المؤدية إلى محاربة الجهل والتخلف. (30)

التقدم في الفنون الإنتاجية التقنية بغرض أن تكون الدولة قادرة على الابتكار والتجديد والتطوير والتعديل بما يخدم مصالحها (31)

المطلب الثاني: على المستوى الاجتماعي:

الفرع الأول: تحديد أهم المشكلات

تحدث مشكلة انعدام الأمن الغذائي مشكلات اجتماعية كثيرة منها:

1- ظهور مختلف الآفات الاجتماعية

2- انتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة نظرا لضعف البنى الجسمية لأفراد المجتمع ونقص مناعتهم المضادة لهذه الأمراض

3- انفراط العلاقات الاجتماعية واضطرابها نتيجة العوامل المذكورة

الفرع الثاني: تصور الفكر الإسلامي للحلول

إن التنمية الاقتصادية ليست سوى نتاج عن جهود الإنسان ولذلك فكل ما يؤثر في الإنسان من عادات وتقاليد وأفكار وعلاقات اجتماعية يؤثر على العملية التنموية (32) ولذلك كان من تصور الفكر الإسلامي لتحقيق التنمية

الشاملة التي تحوي الأمن الغذائي أن يطهر المجتمع من العادات السيئة ومن ذلك الأثرة والأنانية والشح والبخل وتحلية المجتمع بالفضائل المتمثلة في الرحمة والتضامن والإيثار الذي وصف به المؤمنون في قوله تعالى:(ويو ثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)(33)

المطلب الثالث: على المستوى السياسي

الفرع الأول: أهم المشكلات وآثارها

لقد أصبحت مشكلة الغذاء في العلم تشكل خطرا كبيرا على العالم الإسلامي لا من الناحية الاقتصادية فحسب إنما من الناحية الأمنية والسياسية بحيث أصبحت الدول المصدرة للغذاء تملي شروطها على الدول المستوردة (34)

ولقد انعكست مشكلة الغذاء حتى على العقيدة حيث نجد حملات التنصير في أندونيسيا وجنوب إفريقيا

تستغل الوضع الغذائي المتدهور لهذه المناطق لتنشر عقائدها وبذلك قد تحدث مشكلة سياسية للبلد المعني

وعموما فإن التبعية الغذائية تجعل سياستها متأثرة بالوضع الذي عليه حال الدول التي تمونها غذائيا وهذا ما يؤثر في قراراتها ومواقفها

الفرع الثاني: تصور الفكر الإسلامي للحلول

إن الفكر الاقتصادي الإسلامي يثمن مختلف التقنيات الناجمة عن الجهود المبذولة في سبيل إحداث تنمية

شاملة في مجال الأمن الغذائي استغلالا للتقدم العلمي في المجال الزراعي من جهة وكذا مبدأ التضامن الحاصل بين الدول في هذا المجال(35)

وقد قدم الدكتور عبد الرحمن أحمد نموذجا إسلاميا لتوفير الأمن الغذائي خلال ندوة عمان حول التنمية من منظور إسلامي حاصله ما يلي(36):

1-تبني الدولة سياسة اقتصادية توجه من خلالها النشاط الاقتصادي الوطني إلى الميادين التي تسهم في توفير الأمن الغذائي.

2- سد الفجوة الغذائية 37عن طريق الاستيراد اعتمادا على الموارد الذاتية.

3-التكامل بين الدول الإسلامية في مجالات إنتاج الغذاء وتصديره واستيراده.

4- عدالة توزيع الدخل والتكافل الاجتماعي في إطار مبادئ الإسلام ومن أهم مظاهر ذلك تنظيم الزكاة جباية وتوزيعا.

الخاتمة:

لقد تبين لنا من خلال عرض وسائل تحقيق الأمتن الغذائي في الفكر الاقتصادي الإسلامي أن لهذا الموضوع ارتباطا وثيقا بالاستقرار الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للدولة، ولذلك فعلى الأمة الإسلامية أن تسعى جاهدة لتحقيق تكامل اقتصادي يحقق لها الخروج من التبعية ويضمن لها وسطيتها ووحدتها حتى تكون جديرة بكونها خير أمة أخرجت للناس

كما أن عليها الأخذ بأسباب القوة الاقتصادية التي منها توظيف الخبرات العلمية والتقنية في مجالات الزراعة والصناعة حتى تطور من وسائل إنتاجها وتقوي اقتصادها وبالتالي يعيش أفرادها في الرخاء والسعادة التي ينشدها كل إنسان

الهوامش:

1- قريش:04
2- رواه الترمذي
3- الجرجاني، التعريفات،31
4-قريش: 04
5- لسان العرب:3223/5
6- محمد عمر الحاجي، دراسات في فقه الاقتصاد الإسلامي، دار المكتبي، 238
7-م ن 238
8- م ن 238
9- م ن239
10- قريش: 04
11- مفا هيم تتعلق بالأمن الغذائي، مقال على موقع الجزيرة نت 2007/9/3 ص: 02
12- م ن02
13-م ن02
14- م ن02
15- طه: 119
16- رواه الترمذي
17- البوطي فقه السيرة، دار الفكر المعاصر، دمشق، 148
18- موطأ الإمام مالك، كتاب كراء الأرض، 402
19-رواه أحمد والترمذي
20- معز الإسلام عزت فارس، الغذاء والتغذية في الإسلام ن رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية
ملخص الرسالة: 15
21- يوسف 47-48
22- دراسات في فقه الاقتصاد الإسلامي، 252
23- م ن243
24- الأعراف:96
25- إبراهيم: 07
26-البقرة: 261
27- التوبة: 103
28- دراسات في فقه الاقتصاد الإسلامي، 243
29- م ن 274
30- م ن،273
31 م ن، 273

32-م ن، 272
33- الحشر: 09
34- دراسات في فقه الاقتصاد الإسلامي، 242.
35- ينظر مقال عيسى الرموني، ندوة الأردن حول التنمية من منظور إسلامي سنة 1991، 491/1.
36- عبد الرحمن أحمد ندوة الأردن 1189/1 المرجع السابق.
37- المقصود بالفجوة الغذائية الفرق بين إجمالي الحاجات الغذائية والإنتاج المحلي من الغذاء في فترة معينة من الزمن. دراسات في فقه الاقتصاد الإسلامي، 262.